التزكية بالدار الآخرة

١ مقدمة عن الدار الآخرة

في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها تبيّن أن نزول الإيمان أولًا ثم آيات الحلال والحرام جعل الالتزام بالأحكام أسهل على الصحابة. فعندما نزلت آية تحريم الخمر، أراقوا الخمور بسرعة، فكان من السهل عليهم تركها. وكذلك عند نزول آية الحجاب، سارعت نساء الأنصار بشقّ مروطهن والاختمار بها.

٢ أمثلة عملية على أثر تربية النبي الصحابة على الدار الآخرة

1- موقف أنس بن النضر رضي الله عنه وأرضاه في غزوة أحد (في استحضاره للجنة).

2- نموذج ياسر وسمية.
- تعرضا لأشد أنواع التعذيب في العصر المكي من أبي جهل وغيره، وصبرا حتى ماتا تحت كثرة التعذيب.
- النبي ﷺ كان يستعمل أسلوبًا واحدًا في تثبيت ياسر وسمية، وهو تذكيرهما بما أعد الله لهما لأنهما صبرا.
- وليس الكلمة وحدها هي التي غيرت، بل كان شغلهما المستمر على أنفسهما في الدار الآخرة كبيرًا.

3- في بيعة العقبة الثانية، عندما بايع الأنصار النبي ﷺ على ما نعرفه، كان سؤالهم: "فما لنا إن نحن فعلنا ذلك؟" قال لهم النبي ﷺ: "لكم الجنة"، فبايعوا النبي ﷺ.
- فالأنصار هنا كانت كافية لهم الجنة، حيث أكلوا ورق الشجر وضحوا بأنفسهم من أجل ذلك.

4- النبي ﷺ حفّز الصحابة بذكر الجنة، فتمنى عمير بن الحمام أن يكون من أهلها، فبشّره النبي ﷺ بذلك، فترك الدنيا وقاتل حتى استُشهد رضي الله عنه.

٣ حال النبي ﷺ مع تزكية نفسه بذكر الدار الآخرة

نماذج من عمل النبي ﷺ في باب الدار الآخرة:

- ورد في الحديث أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ سورة السجدة وسورة الزمر، حيث أنهما سور مكية وبهما كلام كثير عن الدار الآخرة.
- كان النبي ﷺ في صلاة العيد أحيانًا يقرأ سورة ق وسورة القمر، حيث أن المشهور الأعلى والغاشية وبهما أيضًا ذكر الجنة والنار، وسورة ق بها مشاهد من الدار الآخرة وكذلك سورة القمر.
- كان النبي ﷺ يقرأ في فجر الجمعة سورة السجدة في الركعة الأولى، وسورة الإنسان في الركعة الثانية، وسورة الإنسان أكثر سورة بها وصف للجنة في القرآن كله.
- وكان النبي ﷺ يصلي صلاة الجمعة بـ الأعلى والغاشية، وبالتالي يظل الناس في حالة تذكر دائم للدار الآخرة.
- كان النبي ﷺ يعتني جدًا بخواتيم آل عمران، فكان إذا قام إلى صلاة الليل أول ما يبدأ به هو قراءة خواتيم آل عمران، وكان يقرأ إلى نهاية سورة آل عمران ليذكر نفسه بالجنة والنار، وكان يقول عنها: "لقد نُزلت عليَّ آيات، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها".
- أغلب صلاة النبي ﷺ كانت من المفصل (من ق إلى الناس)، حيث يوجد بها ذكر الجنة والنار.
- كان النبي ﷺ يأمر الصحابة بالتعوذ من أربع، فكان يأمرهم أن يستعيذوا بالله من: (عذاب جهنم / عذاب القبر / فتنة المحيا والممات / فتنة المسيح الدجال) بعد التشهد في الصلاة، فكان يقول للصحابة أن يقولوا هذه الدعوات بعد التشهد.
- النبي ﷺ اعتبر أن كل أعماله وكل أذكاره وكل دعواته هي في النهاية غرضها الجنة والنار فقط، حيث تدور وتطوف حول معنى واحد وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- النبي ﷺ كان يعتني بالسور التي بها ذكر الجنة والنار لدرجة أنه ظهر له بعض الشعر الأبيض في لحيته في آخر حياته، فقال له صحابي: "شيبت يا رسول الله" فقال النبي ﷺ: "شيبتني هود وأخواتها" أخواتها يقصد الواقعة والمرسلات والنبأ والسور التي بها ذكر الجنة والنار.
- النبي ﷺ كان يربي الصحابة على استحضار الدار الآخرة في كل مشهد يرونه، حيث يربط لهم بشيء يرونه وشيء غيبي.

٤ علاقة الدار الآخرة بالسلوك

1- عندما أراد الله عز وجل أن يبيّن سرّ سيدنا إبراهيم وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب في القرآن، ذكرهم بأنهم كانوا متميّزين في قوة استحضار الدار الآخرة، فنزع الله من قلوبهم التعلق بالدنيا، وقذف في قلوبهم حبّ الآخرة وذكر الدار الآخرة.

2- في أول سورة المطففين، يقول الله تعالى: [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)]
أي: لو أن هؤلاء الناس في قلوبهم استحضار للقاء رب العالمين، ما كانوا ليطففوا في الميزان.
← فعندما يكون استحضاري عاليًا للقاء الله، فإن ذلك يصبّ في سلوكي.

3- في سورة الماعون، يقول الله عز وجل: [أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)]
فعندما يكذب الإنسان بالدين، يؤثر ذلك على سلوكه بالسلب.

4- يقول النبي ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".
← وعكس ذلك: من لا يؤمن باليوم الآخر، سهل جدًا أن يفجر، كما قال الله تعالى في سورة القيامة، ومن يؤمن بالدار الآخرة ليس من السهل أن يقع في المعصية.

5- حديث عن الملائكة الذين يطوفون بالطرقات، يراقبون أهل الذكر..

التزكية بالدار الآخرة

١ أثر الدار الآخرة على السلف

• كان السلف يستحضرون الدار الآخرة استحضارًا عظيمًا، حتى غلب خوفهم من الحساب على متاع الدنيا.
• تمنّى عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان رضي الله عنهما أن يكونا رمادًا، خوفًا من الوقوف بين الجنة والنار.
• كان أبو الدرداء رضي الله عنه يخاف أن يُسأل عمّا علم ولم يعمل به، ويرى أن استحضار الآخرة يزهد في الشهوات ويمنع المعاصي.
• كانت تقوى الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز نابعة من كثرة تذكر النار والخوف من الله.
• كان عمر بن عبد العزيز يبكي ويرتعد من خشية الله ليلًا، وكانت قوته وعدله نهارًا ثمرة لهذا الخوف.
• ذكر الموت والموقف بين يدي الله قطع لذة الدنيا عن السلف، وحجزهم عن فعل الحرام.
• كان السلف يوبخون أنفسهم ويحاسبونها قبل الموت، ويذكّرونها بأن العمل إنما يكون في الدنيا.
• الخلاصة أن استحضار الدار الآخرة هو سر الاستقامة، وأن إصلاح النفس مقدّم على الانشغال بالناس.

٢ قواعد مهمة عند تزكية النفس

1- الأمر لن يأتي من قراءة واحدة عن الجنة والنار ومشاهد يوم القيامة، بل سيأتي بتكرار وتكرار حتى ترسخ المعاني.

2- عند قراءتك للجنة والنار في القرآن، لا تترك الجانب التطبيقي والواجب العملي الذي ستفعله، حيث أن القرآن عندما يذكر الجنة والنار يوجد غالبًا حوله الجانب التطبيقي.

3- لا بد من التوازن عند السماع بين السماع عن الجنة والسماع عن النار، حتى يعتدل الميزان. فلو سمعت عن الجنة فقط ستتجرأ على المعصية وتظن أن الجميع سيدخلون الجنة، ولو سمعت عن النار فقط ستصاب باليأس.

٣ أثر الدار الآخرة على السلف

المثال الأول:
أنت الآن تقرأ في كتاب رياض الصالحين، فتقرأ حديث:
(إنّ الرجل ليتكلّم بالكلمة لا يُلقي لها بالًا، يهوي بها سبعين خريفًا)،
• فهنا الاستفادة التي يجب أن تخرج بها: أن ترعى لسانك، وليس أن تعرف عمق جهنم.

المثال الثاني:
أنت الآن تقرأ في سورة الفرقان:
﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12]،
فأنت لا تريد أن تمسّك النار نهائيًا، فتذهب إلى كتاب رياض الصالحين، فتجد حديثًا يقول: (من صام يومًا في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفًا)،
فتحوّل هذا الأمر إلى تطبيق عملي، فتصوم مثلًا يومي الاثنين والخميس، أو تصوم يومًا وتفطر يومًا، حتى تبتعد تمامًا عن النار.

المثال الثالث:
يقول النبي ﷺ: (إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام).
• فالواجب العملي هنا: أن تحرص على كثرة إطعام الطعام، وتحتسب إطعام الطعام في ذلك، وأن تفشي السلام في كل مكان، وأن تجعل لك وردًا من قيام الليل: فهذا هو التطبيق العملي لمن يريد هذه الغرف في الجنة.

المثال الرابع:
يقول النبي ﷺ: (إذا صلّت المرأةُ خمسَها، وصامت شهرَها، وحفِظت فرجَها، وأطاعت زوجَها، قيل لها: ادخلي الجنةَ من أيِّ أبوابِ الجنةِ شئتِ).
• فهنا التطبيق العملي لكل امرأة تريد أن تدخل الجنة: أن تفعل هذه الأربعة أشياء.

المثال الخامس:
لقي النبي ﷺ سيدنا إبراهيم ليلة الإسراء، فقال: (يا محمد، اقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).
• فهنا الواجب العملي أن تجعل لك وردًا من هذا الذكر كل يوم؛ مائة أو أكثر، كلٌّ حسب طاقته، فهذا هو غراس الجنة.

المثال السادس:
قول النبي ﷺ: (إذا مات ولدُ العبدِ، قال الله عزَّ وجلَّ لملائكتِه: قبضتم ولدَ عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسمُّوه بيت الحمد).
• فهنا التطبيق العملي: الصبر عند موت الأحبة.

٤ الواجب العملي

الواجب الفعلي:
- قراءة سبعة أرباع من القرآن الكريم [حوالي 18 صفحة]، مع زيادة ما نقرأه في قيام الليل، ويُشترط أن يكون ثلاثة أرباع [حوالي 8 صفحات]، مع القراءة بعناية وتركيز، وقراءة التفسير، واستخراج الواجب العملي.
- قراءة خمس صفحات من كتاب رياض الصالحين بتدبر، مع استخراج الواجب العملي.
- قراءة كتاب لأنك الله - الجزء الثاني - لمن أنهى الجزء الأول.
- الالتزام بورد دعاء للأهل، والصحبة، والأقارب، وأهل العلم.
- متابعة حلقة واحدة يوميًا من برنامج "باسمك نحيا".
- متابعة حلقة واحدة يوميًا من برنامج "قلبك أبيض".
- متابعة حلقة واحدة يوميًا من برنامج "المصير".

مقترح لقراءة بعض الكتب عن الجنة والنار بالترتيب:
- كتاب "التوهُّم" للحارث المحاسبي.
- كتاب "الجنة والنار" للدكتور عمر سليمان الأشقر.
- كتاب "رحلة إلى الدار الآخرة" للشيخ محمود المصري.

الواجب التركي:
- ترك معصية أخرى، مثل: النظر الحرام، أو الإباحية، أو الغيبة، أو سماع المسلسلات والأفلام، أو الأغاني، أو العلاقات المحرمة، أو التبرج، أو ترك صلاة الفجر.